صرخة

من زمن التوهج

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

فخري كريم

العدد (4156) السنة الخامسة عشرة -

الخميس (15) آذار 2018

WWW. almadasupplements.com

7-6

في مكتبة الباحث التراثي

باسم عبد الحميد حمودي

باسم عبد الحميد حمودي

باسم عبد الحميد حمودي سيرة حياة

أوّل كتاب صدر للباحث (مؤلفاً) في الثقافة الشعبية هو (الزير سالم) عن سلسلة الموسوعة الصغيرة ببغداد عام ١٩٨٩ وهو كتاب يبحث في سيرة أبي ليلى المهلهل، ويحقق نسبه وشعره ويجمع ديوانه، لكن اهتمام باسم عبد الحميد حمودي بالتراث الشعبي قد بدأ قبل هذا منذ زمن مبكر، إذ كتب مقالة وأخرى عام ١٩٥٦ عن التراث الموسيقي العراقي في جريدة (المجتمع) البغدادية.

أيامها خاض الباحث معركة غير متكافئة ضدّ عشاق المقام العراقي إذ كتب (متعجلاً) عن سوء ألحانه وعن بعدها عن الذوق العام ورغبات الشباب العصري.

وكان هذا الكلام كلام مراهقة ثقافية تصدّى للرد عليها نخبة من الكتّاب، بينهم حسين حاتم الكرخي وخطاب العبيدي وغازي عبد الحميد الكنيني وسواهم.. هنا أدرك ذلك (الشاب) مبكراً، أنه يخوض معركة خاسرة ضد الأصالة وعلم الموسيقى، فانصرف إلى القصة والنقد، لكنه لم يغفل التفكير في التراث الشعبي العراقي، فنشر في مايس/ أيار ١٩٥٧، مقالة مهمة في مجلة (الأديب) البيروتية تحت عنوان (الأدب الشعبي العراقي) تناول فيها معظم الفنون القولية الشعبية، ومنها تجربة الشعر الحسيني والمسرح الملحمي الشعبي الناتج عن (التشابيه)، وكان مقدّمة من أسهم فيها أحمد فياض المفرجي وغازي الكنيني.

لم يكن في العراق أيامها (مجلة تعنى بالأدب الشعبي عمارةً وموسيقىً وأدباً وأزياءً وأساطيرَ وأمثالاً، وعندما ظهرت مجلة (التراث الشعبي) في أيلول عام ١٩٦٣ كانت نتيجة لحاجة الباحثين الذين أسهموا في تمويل اصدارها بعيداً عن سلطة الدولة حتى يستطيعوا نشر بحوثهم وتجاربهم وتجارب سواهم في هذا المضمار الحيوي من البحوث الإنسانية.

وكانت الدراسات والمقالات التي نشرت قبل ضمور هذه المجلة الرائدة في العراق تنشر في جرائد يومية تهتم بالفولكلور اهتماماً بالأدب العام مثل (البلد) و(الأيام) لصاحبها عبد القادر البر، و(الحضارة)، محمد حسن الصوري و(البلاد) روفائيل بطي وسواهن قليل.

قبل ذلك كانت تجربة مجلة (لغة العرب) للكرملي قد ساهمت إلى حدّ بعيد في نشر الوعي بالفولكلور وأصناف علم التراث الشعبي.

وفي ما يخص الباحث باسم حمودي، فقد أخذته تجارب القصة والنقد عن الفولكلور مدة طويلة، ولكنه كان دائم الاطلاع عن ما ينتج من بحوث حتى بدأت الأمانة تتكرر في مجلة (التراث الشعبي) الحديثة الصدور وبتشجيع من الرائد الراحل لطفي الخوري رئيس التحرير والشاعر سعدي يوسف سكرتير التحرير في الثمانينيات، فنشر حكاية (حورية الجنة) مع تحليل ضاف لمحتواها ونشر دراسة عن (أسطورة أورست). ودراسة عن (السواتي في عشائر الدغارة) بين الأعوام ٧٣ – ١٩٨٠ وثالثة ورابعة حتى دخل المجلة رئيساً لتحريرها منتصف عام ١٩٨٥ وظل يعمل فيها بانتظام حتى مطلع عام ٢٠٠٣ كانت حياة الباحث تمتلك خصوبتها من تنوع أماكن العيش والعمل في العراق، إذ لم تكن حياة رتيبة منكفئة عن ذاتها وعلى مكتبتها وأوراقها.

ولد الباحث في ٣٠ مايس/ أيار ١٩٣٧ في بيت الحاج سعودي في محلة الست نفيسة ببغداد، وقد انتقل في صحبة الوالد إلى مدينة الناصرية، حيث اختار الوالدان أن يعملا فيها في سلك التعليم، وكان ذلك عام ١٩٣٨ وقد تركت والدته السيدة نعيمة عبد الرزاق، مهنة التعليم مبكراً عام ١٩٤٠ لاضطرارها إلى رعاية أولادها، فيما كانت تجربة الوالد في حقل التعليم مستمرة دامت حوالي أربعين عاماً، انتقل فيها لمدارس متعددة في الناصرية والشامية والسماوة (حيث دخل الباحث وهو ابنه الأكبر الابتدائية عام ١٩٤٤) وابو صخير حتى انتقل إلى بغداد عام ١٩٤٧.

كانت علاقة الباحث بالوسط والجنوب العراقي علاقة متصلة، ولا تزال لم تقف عند حدود الطفولة وزمن البراءة الأولى وضفاف دجلة في الناصرية، الفرات في الشامية والفرات الكبير في السماوة منذ اندمجت مع هذه الذكريات هناك في تلك المدن وذكريات رحلاته وجولاته المتكررة في مدن عريقة مثل الديوانية وكربلاء والرميثة وعفك والحمزة وآل بدير.

وكان عمله كمدرس في الصويرة (٦٠-١٩٦٣) ومنذ عام ١٩٦٥ في الدغارة حتى عام ١٩٧٣ سبباً في زيادة ارتباطه بهذه المدن التي ارتبط بها عاطفياً واجتماعياً وكانت بعض مقالاته ودراساته في (التراث الشعبي) ناتجة عن هذه العلاقة مثل (السواني في عشائر الدغارة) و(حمد آل حمود) و(المجتمع الريفي شخصيات ومدن) و(الحيوان في المثل الشعبي) وغيرها كثير. كان ارتباطه بالنجف الأشرف قد بدأ منذ الطفولة، منذ عام ١٩٤٦ عندما كانت العائلة تسكن (ابو صخير) والوالد مديراً لمدرستها الابتدائية، حيث تتم رحلة الخميس أسبوعياً إلى النجف، حيث تزور العائلة الإمام، وتقضي وقتها المتبقي في أسواق النجف أو في زيارة إحدى الدور النجفية. فقد كان معظم معلمي أبي صخير من النجف ذاتها، وتكرّرت تلك الزيارات للنجف في رحلة الخميس التي تأخذ بعض عوائل الدغارة (حيث سكن مدرساً ومديراً لثانويتها) إلى النجف الأشرف للزيارة ثم العودة ليلاً بعد زيارة قد تتم الى مدينة القاسم، حيث مرقد الإمام القاسم بن الإمام الحسن بن علي (ع).

هذه الذكريات اختزت منها مأخذاً مؤثراً في عمله التوثيقي ودراساته عن المجتمع العراقي. فهو لم يعش في بغداد وحدها، حيث ولد، بل في المدن الأخرى، حيث عاش صبياً ومدرساً لسنوات طويلة، وكانت زياراته المتكررة لمساجد أبي حنيفة النعمان والسيد الكيلاني والشيخ معروف، تستكمل ذلك الجانب الروحي المطلّ على عالم السعادة الأبدية.

عند العودة إلى تجربة الباحث في حقل التراث الشعبي، نجد أن كتابه (سحر الحقيقة) الذي نشر عام ٢٠٠٠ قد حوى معظم دراساته المنشورة حتى تاريخ نشر الكتاب في (التراث الشعبي) عدا ما صدر في كتب ودراسات والتي منها كتابه (تغريبة الخفاجي عامر العراقي) الذي صدر عن دار الشؤون الثقافية عام ١٩٨٩ وأعيد طبعه في القاهرة عام ٢٠٠٠ وصدر عن هيئته قصور الثقافة هناك في سلسلة مكتبة الدراسات الشعبية بمقدمة جميلة للأستاذ علي أبو شادي، والغريب أنه لم يحصل من هذه الطبعة إلاّ على نسخة وحيدة جلبها له الروائي أحمد خلف.

من كتبه الأخرى (القضاء العرفي عند العرب) الذي صدر عن دار (المدى) بدمشق عام ٢٠٠٩ وأعيد طبعه ضمن سلسلة (الكتاب للجميع) من قبل صحيفة (السفير) البيروتية عام ٢٠١٠ ضمن هذه السلسلة التي توزّع مجاناً من قبل صحف متعددة هي (السفير) في لبنان و(المدى) و(الإتحاد) في العراق و(البيان) في الإمارات و(القاهرة) في مصر و(القبس) في الكويت. ومازالت هذه الطبعات تثرى لهذا الكتاب الذي أنجز من قبل الباحث خلال سنوات من الصبر والتجوال والبحث وهو يستحق هذا الاهتمام والانتشار.

من كتبه الأخرى التي جمعت بين حقلين من حقول عمله كتاب (التراث الشعبي والرواية العربية الحديثة) الذي صدر عن سلسلة (الموسوعة الصغيرة) عام ١٩٩٨ ونال عنه جائزة الإبداع في النقد الأدبي في نفس العام، لتتبعه الآثار الفولكلورية في مئة رواية عربية، مستخلصاً القول، إن البنية الروائية في العالم العربي بنية تراثية شعبية في حدّها الأولي وبنية دراسية تتعايش مع مجتمعها المشحون بتقاليد الحيّ الشعبية الموروثة وعاداتها وممارساتها اليومية وأحلامها وطقوسها في حدّها الأقصى برغم محاولاتها التحديثية الدائمة للخروج من أسر الفكر الجميل والثورة عليه.

ولم يقتصر نشاط الباحث على الكتب المؤلفة، بل قام ضمن سلسلة (كتاب التراث الشعبي) بإعداد وتحرير ونشر عدد من الكتب المهمّة منها (عادات وتقاليد الحياة الشعبية العراقية) عام ١٩٨٦ وكتاب (أبحاث في التراث الشعبي) عام ١٩٨٧ وهي دراسات لمجموعة باحثين أسسهوا في ندوة التراث الشعبي السنوية في بغداد، ثم أصدر الباحث كتابه عن (شارع الرشيد) الذي جمع فيه معظم بحوث الكتّاب الموثقين عن هذا الشارع العتيد والتي سبق وأن نشر معظمها في عدد التراث الشعبي الخاص بالشارع عام ١٩٨٨ وهذا الكتاب مازال مرحباً حيوياً عن هذا الشارع العتيد، وقد قررت وزارة الثقافة إعادة طبعه وترجمته إلى عدّة لغات بمناسبة بغداد عاصمة الثقافة العربية.

وقد ظل نشاط الباحث واسعاً في هذا الحقل الحيوي من حقول البحث الإنسانية، إذ نشر عدداً من دراساته في مجلات عربية أخرى تهتم بهذا الحقل مثل مجلة (البحرين) الثقافية ومجلة (الفنون الشعبية) القاهرية ومجلة (الحداثة) البيروتية التي أصبح عضواً للهيئة الاستشارية فيها ومجلة (الرافد) الإماراتية وغيرها.

حاز الكاتب على ميدالية التراث الشعبي من لبنان وجامعة المنصورة وتكريم وزارة الثقافة الأردنية عام ١٩٩٠، حيث قام بتحكيم جائزة الدولة الأردنية في حقل التراث الشعبي، وانتخب لبعض الوقت أميناً عاماً لرابطة التراث الشعبي للكتّاب العرب قبل أن يسدل عليها الستار نتيجة للحرب على الكويت، وما زال باسم عبد الحميد حمودي كاتباً مُنتجاً من كتاب هذا الباب الواسع من الدراسات الإنسانية.

حمودي يطوف بشخصيات وكتب ودراسات في التراث الشعبي

شكيب كاظم

ظل هذا الكبير باسم عبد الحميد حمودي، يضرب في مناحٍ ثقافية متعددة، فكتب في نقد القصة والرواية والتنظير لهما، كما كتب في البُلدانيات، ولاسيّما في تأريخ بغداد القرن العشرين، ومثاباتها الشاخصة، وشارع الرشيد، رأس هذه المثابات المهمة، كما أهتم بالتراث الشعبي العراقي والعربي، وظل يرفد المجلة التراثية الرائدة في هذا الباب (التراث الشعبي) بمقالاته ودراساته، وأصدر أكثر من كتاب في هذا الباب، منها كتابه عن (الزير سالم) الصادر في ضمن الموسوعة الصغيرة. بغداد ١٩٨٩، وكتاب آخر عنوانه (تغريبة الخفاجي عامر العراقي) فضلاً عن كتاب ثالث درس فيه ما يربط التراث الشعبي بالرواية العربية الحديثة، صدر عن الموسوعة الصغيرة –كذلك– ببغداد سنة ١٩٩٨، وإذ درس الأستاذ باسم، التراث الشعبي والرواية العربية الحديثة، فإن الباحث العراقي الرصين، الدكتور صبري مسلم حمادي، زميلنا في الدراسة الجامعية بآداب المستنصرية (١٩٦٩-١٩٧٤) قد درس أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة، ببحث كتبه تحت إشراف الدكتورة نبيلة إبراهيم، نشرته المؤسسة العربية للدراسات والنشر ببيروت بطبعته الأولى عام ١٩٨٠، وحمل عنوان (أثر التراث الشعبي في الرواية العراقية الحديثة).

جهود الباحث محسن مهدي

وقد جمع الباحث والناقد باسم عبد الحميد حمودي، جهرة وافرة من دراساته التراثية الشعبية، فنشرها أو أعاد نشرها في كتاب ضخم يقع في ثلاث مئة صفحة عنوانه (سحر الحقيقة. شخصيات وكتب ودراسات في التراث الشعبي) صدرت طبعته الثانية المزيدة والمنقحة في بغداد عام ٢٠١٤، بعد أن صدرت طبعته الأولى عام ١٩٩٩.

الكتاب الجميل هذا سياحة ثقافية في مجالات تراثية شعبية عدّة منها، حديثه الرصين عن (كتاب ألف ليلة وليلة) ورحلته في الآفاق العربية، وطبعاته العديدة، واقفاً عند جهود الباحث العراقي النخبوي الرصين، الدكتور محسن مهدي (الميالي) (١٩٢٦/٦/٢١-٩/ تموز/٢٠٠٧) في تأكيد عراقية هذا الكتاب، فضلاً عن دراسة الباحث العراقي الرصين والناقد والروائي الدكتور محسن جاسم الموسوي لهذا الكتاب، ونال عنها درجة الدكتوراه من جامعة (دالهوزي) الكندية بتمييز في ربيع سنة ١٩٧٨، بوصفه مختصاً بدراسة الرواية والقصة، قبل شروعه بالدراسة العليا، ونشر هذا البحث في كتاب حمل عنوان (الوقوع في دائرة السحر. ألف ليلة وليلة في نظرية الأدب الإنكليزي ١٧٠٤-١٩١٠) كما يجب أن لا ننسى البحث القيّم الذي كتبه أستاذي أحمد حامد الشحاذ (العاني) أستاذي أيام دراسة الماجستير في معهد التأريخ العربي للدراسات العليا، ونشره في كتاب عنوانه (الملامح السياسية في حكايات ألف ليلة وليلة).

شخوص لها دور مؤثر

كتاب (سحر الحقيقة) للأستاذ باسم عبد الحميد حمودي، ضمّ دراسة شفيقة لكتاب نشرته دار الشؤون الثقافية العامة ببغداد بطبعته الأولى سنة ١٩٩٤ عنوانه (حكايات الشتاء القصيرة. من التراث الشعبي العراقي) للقاص والروائي خضير عبد الأمير، واحتوى على حكايات كانت أمه (ملكة حسن) تقصها على أبنائها في ليالي الشتاء الطويلة في سنوات خلَتْ، يوم لم يكن المذياع والتلفاز قد دخلا حياتنا أو انتشرا على نطاق واسع، قرأت الكتاب، وكتبت عنه حديثاً نقدياً، نشرته الصحفة الثقافية بجريدة (العراق) يوم السبت ١٦/من محرم الحرام /١٤١٤هـ – ٢٥/ من حزيران/ ١٩٩٤) وبعددها المرقوم ٥٥٣٠ عنوانه (حكايات الشتاء القصيرة. ذكريات أيام غابرة).

الباحث باسم عبد الحميد حمودي، في كتابه هذا (سحر الحقيقة) وقد خصّصه للتراث الشعبي، شخوصاً وكتباً، كان لابد له من أن يدرس عدداً من الشخوص – بعد أن درس كتباً عدداً – اهتمت بالتراث الشعبي العربي والعراقي، وكان لها دورٌ مؤثر ومهم في نشره والكتابة عنه وفيه، والحدب على المجلة المتخصصة فيه وأعني مجلة (التراث الشعبي) منذ صدورها الأول عام ١٩٦٣، يوم تولى رئاسة تحريرها الدكتور إبراهيم الداقوقي، وإدارة تحريرها الباحث الموسوعي عبد الحميد العلوجي (١٩٢٤-١٩٩٦) وسكرتارية تحريرها لطفي الخوري، أو في إصدارها الثاني في نيسان ١٩٦٨، وكان من رجالاتها والمسهمين في إصدارها الدكتور مصطفى جواد (توفي١٩٦٩) والدكتور حسين علي محفوظ (توفي ٢٠٠٨) وسالم الآلوسي، وشاكر صابر الضابط وعبد الحميد الكنيّ (توفي ١٣٩٣هـ – ١٩٧٢) وكوركيس عواد والدكتور محسن جمال الدين وميخائيل عواد، أقول : كان لابد للباحث باسم من أن يدرس عدداً من هؤلاء الرجال الذين أوقفوا بعض جهدهم على البحث الفلكلوري، وإصدار هذه المجلة وقد طواهم الدهر الذي لا يرحم، فيقدم دراسة ضافية عن الباحث الكبير الدكتور مصطفى جواد، الذي عرف على نطاق واسع بدراساته التأريخية واللغوية والنحوية والخَطِطية، ليقف عنده باحثاً في التراث الشعبي، مما لا يعرفه عنه إلاّ المختصون، وأعاد الأستاذ باسم لذاكرة القرّاء، هذه الخصيصة البحثية للدكتور الجواد، منوهاً بحديثه اللغوي من الإذاعة العراقية الموسوم بـ(قل ولا تقل) وقد جمع الجواد أحاديثه هذه ونشرها في كتاب حمل العنوان ذاته، كما جمع الإذاعي الفلسطيني الراحل حسن الكرمي (توفي بشهر مايس/ أيار ٢٠٠٧) أحاديثه التي أذاعها من القسم العربي بهيئة الإذاعة البريطانية (B.B.C) الموسومة بـ (قول على قول) جمعها ونشرها في كتاب حمل العنوان عينه أصدره بأجزاء عدة.

ولم ينس الأستاذ باسم، وهو يجوس في بحوث الجواد، الندوة الثقافية التي كان يقدمها الباحث سالم الآلوسي (١٩٢٥-١٦/١٢/٢٠١٤) وكانت ندوة استقطبت اهتمام الناس، وأطلقت الجواد إلى عوالم الشهرة والخلود، وكان يشارك فيها الراحلان: فؤاد عباس (توفي ١٩٧٦) والدكتور حسين أمين، فضلاً عن عدد من كبار الباحثين وإذ يرحل مطلع حزيران ١٩٨٧، رائد البحث الميداني في عوالم الأمثال الشعبية، عبد الرحمن التكريتي، فإن الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي، يخصّه بمقالة ضافية درست مثابات مهمة في حياة هذا الباحث الفلكلوري، وجهده الذي أوقفه لدراسة الأمثال العامية العراقية، الذي يعيد لأذهاننا جهد رائد جمع الأمثال العربية أبي الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، المتوفى سنة ٥١٨هـ، صاحب (مجمع الأمثال).

أستاذي الراحل الدكتور محسن جمال الدين

وإذ تمر الذكرى السنوية الأولى لوفاة أستاذي الدكتور محسن جمال الدين، الذي كان لي شرف التلمذة على يديه الكريمتين، إذ درسنا مبحث الأدب الأندلسي عام ١٩٧٣- ١٩٧٤، في السنة الرابعة من دراستنا الجامعية، فأني أكتب مقالة عنوانها (في الذكرى السنوية الأولى لرحيل الدكتور محسن جمال الدين) نشرتها ثقافية جريدة (العراق) يوم أن كان يشرف عليها ويحررها الأديب دمث الأخلاق أحمد شبيب، بالعدد الصادر يوم الأربعاء ٢٢/ من جمادى الأولى/ ١٤١٠هـ -١٩٨٩/١٢/٢٠ فإن الباحث باسم وقد هاله رحيل الباحثين الفلكلوريين لطفي الخوري ومحسن جمال الدين في زمنين متقاربين، وهذه من مصادفات الحياة الدنيا التي قد لا تتكرر، إذ يتوفى لطفي الخوري في السابع عشر من كانون الأول /١٩٨٧، وبعد يومين يرحل أستاذي الدكتور محسن جمال الدين، فإنه يكتب عنهما مقالاً جامعاً منوهاً بجهودهما في مجالات التراث الشعبي، وكان بودي لو نص الأستاذ باسم على تأريخ نشر مقالاته هذه، وأماكن نشرها زيادة في الدقة والتوثيق، ولقد لمست إغفال جل إن لم أقل كل الباحثين الإشارة إلى هذا الأمر.

وإذ ذكر الأستاذ باسم، هذه الجهرة من الباحثين بعد أن طواهم الحِمام، فإنه يقف عند المحامي والكاتب والأديب والباحث الفلكلوري محمود العبطة، وهو ثالث الثلاثة، الإخوة الأشقاء من آل العبطة الكرخيين القدماء الأصلاء: محمد وأحمد العبطة، وقد نعى الناعي محموداً العبطة هذا، وحمله باسم على كتفيه، وكل أبنَ أنثى وإن طالت سلامته، يوماً على آلة حدباء محمول، حمله والعبطة محمود في رحلته الأخيرة نحو ثوائه الأزلي، صباح الجمعة الخامس عشر من تشرين الثاني ١٩٨٦، بعد أن نام ليلته الأخيرة كطفل، وأرتحل هادئاً من غير أن يؤذي أحداً من أهله وخاصته أو ينبّه إلى وجعه، لا بل أوجاعه.

باسم عبد الحميد حمودي.. فيضُ العطاء الدائمْ

قاسم خضير عباس

في بداية السبعينات من القرن الماضي، كنت طالباً في كلية الآداب جامعة بغداد، تعرفت على الأديب القاص باسم عبد الحميد حمودي، من خلال قراءتي لمجموعته القصصية الأولى (أنا عاطل) وعرفت في حينها أنه أحد خريجي قسم التأريخ في الكلية نفسها. بعدها تعرفت عليه باحثاً فولكلورياً من خلال أطلاعي على دراسة قيّمة نشرت لهُ في مجلة التراث الشعبي عام (١٩٧٢) عنوانها: (السوانح عند عشائر الدغارة) والسوانح هي مجموعة القوانين والأعراف التي تحكم سلوك أفراد العشيرة وعلاقتهم بالعشائر الأخرى. ومن هذا المقال ظننتُ أن الرجل من مواليد وسكان الدغارة التابعة لمحافظة القادسية (الديوانية سابقاً) لاكتشف لاحقاً، أنه من مواليد بغداد/ الكرخ. وكتابته عن (السوانح عند عشائر الدغارة) جاءت لكونه كان مدرّساً ومديراً لثانويتها. وعرفت أيضاً أن والده كان مديراً لإحدى مدارس (أبو صخير) القريبة من النجف الأشرف والتي تلقّى الباحث الجليل تعليمه الابتدائي في إحدى مدارسها. وعرفت أيضاً أن الباحث ووالده، قد تنقّلا في عملهما التدريسي في أغلب محافظات الجنوب والفرات الأوسط، ولهما ذكريات مع سكان وعشائر تلك المحافظات، هذه الذكريات كان لها الأثر الكبير في عمل الباحث التوثيقي والبحثي ودراساته عن تلك المجتمعات والتي تمثّلت بدراسته عن (السوانح عند عشائر الدغارة) وكتابه المعنّون (القضاء العرفي عند العرب) بداية الثمانينات من القرن الماضي. جمعتنا أروقة دار الجاحظ للنشر الواقعة في شارع الجمهورية (الخلفاء)، هذه الدار كانت معنية بإصدار المجلات الثقافية، حيث كنت أعمل محرراً في مجلة التراث الشعبي، وكان مدير الدار في حينها القاص الراحل (موفق خضر) وتولى الأستاذ باسم عبد الحميد، إدارتها لفترة وكالة الى جانب عمله في مجلة الأقلام.

في الحقيقة أنني كنت معجباً بهذا الرجل الذي تذكّرني نظارته السوداء، بنظارة عميد الأدب العربي الدكتور (طه حسين) الى جانب ابتسامته العريضة التي يقابل بها جميع من يلتقي بهم. كان شعلة من النشاط والإنتاج الثقافي، محبوباً من الجميع ويسعى في خدمة الجميع، وأعتقد جازماً بأنه أمتاز عن غيره من الأدباء والمثقفين، بأنهُ الوحيد الذي لا أعداء لهُ. أخلاقهُ أخلاق العلماء. أخذ بأيادي الكثير من الأدباء الشباب وقوّم تجاربهم وأسهم في اكتشاف مواهبهم، ولاسيّما أنهُ كان ناقداً أدبياً، بل من أبرز النقّاد في الساحة الأدبية العراقية. وتولى رئاسة تحرير مجلة الأقلام، التي تعنى بالأدب الحديث. وكذلك رئاسة تحرير مجلة الثقافة الأجنبية التي تعنى بالثقافة والفنون بالعالم. وكذلك كان سكرتير تحرير مجلة الرواد التي تعنى بكتابات الروّاد. وتولى رئاسة قسم النشر في دار الشؤون الثقافية. في منتصف الثمانينات من القرن الماضي، تولى رئاسة تحرير مجلة التراث الشعبي التي تعنى بالدراسات الفلكلورية والتي نشر عبر صفحاتها العديد من البحوث والدراسات الفلكلورية والتي أبرزها على ما أذكر :

- أسطورة تموز وتأثيرها على الشعوب الأخرى
- الأعياد عبر الزمان والمكان
- الآلات الموسيقية التقليدية في السودان
- ألف ليلة وليلة من أصوله العربية
- أهل بغداد في مواجهة الغزاة والطامعين
- أوراق من تأريخ العراق
- البلدانيات العراقية في مجلة لغة العرب
- تنوع التراث الشعبي
- الحفاظ على إنسان الفلكلور
- حمد آل حمود بين التأريخ والتراث الشعبي
- حملة الحبوبي ضد الإنكليز بين مذكرات الشرقي وشعر الشبيبي
- الخفاجي عامر العراقي (١-٤)
- الرواية العربية والتراث الشعبي
- الرواية وألف ليلة
- السحر الأسود
- السيرة الشعبية والذات العربية وغيرها الكثير.

إضافة الى إسهاماته التراثية المنشورة في مجلة البحرين الثقافية ومجلة الحداثة البيروتية ومجلة الرافد الإماراتية. فيما جمعنا التراث الشعبي للكتابة لصفحة ثقافة شعبية في جريدة الجمهورية البغدادية، هذه الصفحة التي كان يشرف عليها الشاعر المبدع عبد الزهرة زكي، وكنا أنا والباحث باسم عبد الحميد حمودي، نعرف في هذه الصفحة بعلم الفولكلور ومحاوره الأساسية، كذلك شكّل الأستاذ عبد الحميد في مجلة التراث الشعبي (وحدة دراسة ألف ليلة وليلة) في عقد التسعينات، هذه الوحدة تُعنى بكل ماكتب عن ألف ليلة وليلة.

فيما كان للمجلة حضورها في الاحتفالات بيوم بغداد، هذا الحضور تجسد بإقامة ندوة بغداد للتراث الشعبي التي يتناول فيها لوناً من ألوان التراث الشعبي، كذلك إقامة المجلة ندوة عن الشعر البدوي. وكان للباحث حضور في أغلب المؤتمرات التي تُعنى بالتراث الشعبي الداخلية والخارجية وفي مجال التأليف في حقل التراث الشعبي نقرأ له المؤلفات الآتية:

١- التراث الشعبي والرواية العربية. الذي نال عنه جائزة الإبداع في النقد الأدبي.
٢- أبحاث في التراث الشعبي
٣- عادات وتقاليد في التراث الشعبي
٤- كتاب شارع الرشيد
٥- تغريبة الخفاجي عامر العراقي، صدرَ ببغداد عام ١٩٨٩ وأعيد طبعهُ في القاهرة عام ٢٠٠٠.
٦- ولعلّ أبرز كتبه الصادرة عام ٢٠٠٠ كتابه (سحر الحقيقة) فقد ضم دراساته المنشورة في مجلة التراث الشعبي.

كُرّم الباحث باسم عبد الحميد حمودي، بميدالية التراث الشعبي في لبنان، وكذلك كرّمته وزارة الثقافة الأردنية لقيامه بتحكيم جائزة الدولة الأردنية في حقل التراث الشعبي، وانتخب أميناً عاماً لرابطة التراث الشعبي للكتّاب العرب، لايزال الباحث باسم عبد الحميد حمودي، شلالاً من العطاء الأدبي والتراثي والتأريخي، وهو يدخل عامه السابع والسبعين.

العمر المديد لشيخ المثقفين والتراثيين، وأرى أن تقوم الجهات الثقافية الرسمية برعاية وتكريم هذا الشيخ الجليل لما قدّمهُ للعراق وثقافته متمنين لهُ الصحة التامّة والعمر المديد في ظل حب الجميع لهُ.

الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي... وفن السيرة الشعبيّة

د. علي حداد

ما كان لدرس (السيرة) أن يكون حاضراً بقوّة بين دراسات الأدب الشعبي العراقية (لولا جهود الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) ودأبه في الكتابة ضمن هذا النوع الأدبي، واشتغاله على تفصيلات بعض السير الشعبية وتوثيقها، وذلك هو الجانب الأوفر من كتاباته في الأدب الشعبي التي بدأها منذ منتصف خمسينات القرن الماضي، التي نشر فيها بعض مقالاته عنه في مجلات عراقية وعربية، كانت أولاهن مجلة (الأديب) البيروتية، التي نشرت له في مايس/ أيار ١٩٥٧م، دراسة بعنوان (الأدب الشعبي العراقي).

كان اتجاه الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) في مرحلة من نشاطه النقدي نحو السرد وكتاباته في نقد القصة لتوثيق صلته بالسرد الشعبي، كونها أمدّته برصيد معرفي، لا نشك في أنه قد جرت مناقلته عنده إلى حيث يستفاد من أفكاره وألياته الحديثة في تأمل السرد العربي القديم، ولاسيّما (السيرة الشعبية) التي تبرز فيها مؤثرة عناصر (الراوي) ووجهة النظر التي يترسم للسرد مساره من خلالها، و(شخصية البطل)، وسيرورة (الحدث) وأنماط تجسده. وكلها مما قدّمت الدراسات السردية الحديثة فيه نظرياتها واتجاهات درسها التي أنتجت علماً معرفياً قائماً بذاته هو (علم السرد).

عاد الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) في أوائل السبعينات ليكتب عن الأدب الشعبي، وينشر دراساته عنه في الصحف والمجلات العراقية، ولاسيّما مجلة (التراث الشعبي) التي تواصل مع هيأة تحريرها منذ تأسيسها وعبر العقود اللاحقة من سني إصدارها، لينتقل لاحقاً إلى العمل رئيساً لتحريرها مدة لعلّها الأطول بين من شغل تلك المسؤولية.

تكرس الجهد الحصيف لدى الأستاذ حمودي، في مجال السيرة الشعبية منذ كتابه (الزير سالم) الذي كان أول ما صدر له في مجال التراث الشعبي عام ١٩٨٩م، ليتلوه بعده بسنوات كتابه الآخر (تغريبة الخفاجي عامر العراقي)، ثم كتابه الثالث (التراث الشعبي والرواية العربية الحديثة) الذي ماهى فيه بين قراءاته في السرد العربي الحديث وما تكشف فيه من مضامين التراث الشعبي.

ولعلّ كتابه (سحر الحقيقة) الصادرة طبعته الأولى سنة ١٩٩٩م هو الكتاب الذي يقدّم جلياً مشهد القراءات التراثية الحصيفة عند هذا الباحث الجليل الذي واكب التراث الشعبي بمختلف أجياله، فقد تضمن، كما ورد في مقدمته: "سياحة في فكر التراث الشعبي، محطات ذاكرة، وثقافة تفصيلية وعامة، ومقومات أسطورة، وحكاية وسيرة. بدأت بالدراسات في هذا العالم الغريب المعجز، ووقفت عند شخصيات فولكلورية بعينها... ثم عرضت لمجموعة الكتب الخاصة بهذا النوع من العلوم الإنسانية الذي نعدّه مفتاحاً لكل سعي إنساني نحو الحقيقة، وكم للحقيقة من سحر أخّاذ إذا كانت مرتبطة بالفكر الجمعي". (سحر الحقيقة، ص٥).

لقد تضمن الكتاب جهود الأستاذ (باسم عبد الحميد حمودي) في دراسة حقول التراث الشعبي المختلفة وعلى مساحة من سنوات اشتغاله المتواتر الخصب. وما يستوقفنا منه هنا جهده الرصين في مجال (السيرة الشعبية العربية) التي يصفها بـ (الملحمية)، ويرى أنها "عبرت . بمختلف نصوصها ورواياتها . عن الوجدان الشعبي، وعن التوق للحرية، وتأكيد الذات فردياً وجماعياً" (سحر الحقيقة، ص٢٧).

وتتأتى فاعلية السيرة الشعبية . طبقاً لرأي الباحث، وهو يقرأ سيرة (سيف بن ذي يزن) التي دوّنت خلال القرن الخامس الهجري. في قدرتها على أن تخاطب البعد العاطفي للمجتمع الشعبي العربي" فقد كان الوجدان الشعبي بحاجة إلى صيغة حلمية موحدة، ترمّم ما تبعثر، وتوحد ما تجزأ على صعيد الواقع" (المصدر نفسه،ص٢٧).

وإذا كان الباحث قد تناول بالقراءة أكثر من سيرة قديمة تداولتها البيئة الشعبية العربية في مراحلها المختلفة، فلعلّ واحداً من جهوده المعطاءة توجهه نحو شخصيات في البيئة الشعبية العراقية قريبة العهد، ولكنها دخلت في تمثلات الوجدان الشعبي حتى صارت "تروى عنها الحكايات التي تقرب من الأساطير" (المصدر نفسه، ص٢٨٢)، تلك الشخصيات التي سعى إلى لمّ شتات أخبارها وتفصيلات من سيرتها، صانعاً مشهداً سردياً مخبراً عنها، كالذي فعله مع شخصية (حمد آل حمود) الذي عاش خلال القرن الثامن عشر الميلادي شيخاً لقبيلته (الخزاعل). وكان في صراع دائم مع الولاة العثمانيين، ليصنع تاريخاً شخصياً لافتاً، ويمسي مثالاً للرجل الفارس والحكيم، حتى ليرى الباحث أن "الهالة الأسطورية التي أحيط بها هالة يستحقها، وإن كانت التفاصيل التأريخية لا تتطابق تماماً مع الحكايات، وليس لها أن تتطابق، بل أن تشي بجزء من تفاصيل حياته تريدها الحكاية الشعبية وتقصدها لغاية حكائية، أو لاستجلاء حكمة أو موعظة" (المصدر نفسه، ص٢٩٢).

ولاشك في أن مسعى تدوين سيرة خاصة ببعض الشخصيات التي عاشت في أزمنة ليست بعيدة من زماننا . سواء أكانوا من الفرسان أم الحكماء، أم الشعراء . جهد ثقافي مهم، لاسيّما حين لا يتأسس على نزعة التدوين التأريخي المقننة، بل عبر إعادة إنتاج ما تبنته البيئة الشعبية وتداولته، وأضفت عليه من فعل خيالها ونزوعها نحو الغرائبي والمثير من الوقائع والسمات ما يجعل تلك السيرة ممكنة الانضواء في الفضاء الشعبي المتسع لعدد كبير من (سير) الشخصيات المشهورة ومن مختلف مراحل التأريخ العربي وعصوره.

مقدّمة الطبعة الثانية لكتاب تغريبة الخفاجي عامر العراقي

أهمية الشخصيات الفرعيّة... في الملاحم الشعبيّة

خيري شلبي

للسيرة الهلالية تفريعات كثيرة. مثلها مثل كل الملاحم العالمية التي كانت تعتمد على الرواية الشفهية. حيث تُبنى الملحمة على عديد من الشخصيات الملحمية كل شخصية فيها حكاية في ذاتها. وكل شخصية تصلح أن تكون بطلاً لعمل درامي قائم بذاته، مع أنها في الأصل تدور حول قطب رئيس تعقد له لواء البطولة الكبرى. مثل شخصية عمر العيار في سيرة حمزة البهلوان، وشخصية الصحصاح في سيرة الأميرة ذات الهمة. وقد درج الكتّاب المحدثون على اختيار إحدى الشخصيات الثانوية. أو ذات مركز دون مركز البطولة في العمل الأصلي. ثم إقامة عمل درامي كامل حولها. كما حدث في الغرب مع أوديب ومع ألكيترا ومع أنتيجون. وكما حدث عندنا حيث كتب الراحل عباس خضر رواية حول شخصية الصحصاح أحد أهمّ أبطال سيرة الأميرة ذات الهمة.

وكنا نوّد لو نشط الدارسون وقدّموا دراسات حول الشخصيات الفرعية في السير الشعبية العربية إذن لاكتشفوا من خلالها الكثير من القيم النبيلة والمقوّمات الدرامية العبقرية التي تميّزت بها العقلية الشعبية العربية في بنائها للسير الشعبية.

ولهذا فإنه يطيبُ لنا أن نحتفي بهذا الكتاب (تغريبة الخفاجي عامر العراقي) للكاتب الأستاذ باسم عبد الحميد حمودي، وهو أحد المهتمين بالدراسات الشعبية في القطر العراقي الشقيق. ونظراً لأنه كتاب شبه مجهول لنا في مصر. ولم يسمع به الكثيرون من المهتمين بالدراسات الهلالية، فقد آثرنا أن نعيد نشره في هذه السلسلة الشعبية لتعم فائدته، وإنّا لواثقين، بأنه سيسدُّ نقصاً في مجاله. نرجو أن نكون دائماً عند حسن ظن القرّاء، وأن يهدينا الله سواء السبيل وشكراً..

مقدمة كتاب تغريبة الخفاجي

التاريخ هناك، لم اتتبع خطى مُضيّفي، بل تتبعت عطر التأريخ، وألقه المنبعث من هناك، من تلك الغرفة التي تقع في وسط المنزل، والتي تتميز بجمال إطلالتها، فالهدوء والراحة ينبعثان من جميع زواياها، الكتب تحيط بأركان الغرفة، برفوف متراصة الواحدة فوق الأخرى، ركن كامل يتضمن كتب التراث الشعبي بعضها عراقية وأخرى عربية، وأخرى مأخوذة عن كتّاب غربيين ومترجمة عنهم، وركنٌ آخر عريض جداً يحتوي على كتب التأريخ، ما مرّت به هذه المدينة، تأريخ لغتها، وثقافتها، وحيواتها، ذاكرتها السياسية والاجتماعية، تأريخ الأماكن والأحداث، حتى سواقي المياه والشوارع والحدائق العامة في هذه المدينة لديها تأريخٌ وحكاية.

مُضيّفي يشبه مكتبته تماماً، فهو حلو الحديث كما هي مكتبته رحبة وحلوة السُكنى، هادئ كحكايات العشق، وعميق بعمق الأحداث التي تحيط بالمدينة والتي تنتفض من بين سطور الكتب، والرفوف التي تحتويها، مشرق كما الغد الذي ينتظر كل من يقرأ هذا الكم من الكتب، ويحمل الكثير من الخبايا كتلك التي يحملها تراث المدينة، لم يكتف بوضع كل ما يملكه من ثروة في هذه المكتبة، بل خلق لها ثروة جديدة ألفها هو، فنجد إلى جانب ركن صغير، خانةَ طويلة من الرفوف التي تحتوي على الكثير من مؤلفات مُضيّفي....

ولو نويت أن ابقى هناك لفترة طويلة، لتعرفت على أبطال المدينة وحكاياتهم، وعلى ألعاب المدن الصغيرة، والأطفال الصغار عبر التأريخ، وعلى أحداث اذهلتني عن مدينتي التي غلفها الحزن اليوم، ولكن لم يحالفني القدر أن أبقى سوى ساعات قليلة للحديث عن هذه المكتبة الغنية، حين زارت (المدى) مكتبة الباحث المختص في التراث الشعبي والتأريخي والكاتب والناقد والصحفي باسم عبد الحميد حمودي للحديث عن مكتبته.

في مكتبة الباحث التراثي باسم عبد الحميد حمودي:

أكتب حالياً عن أوراق نوري السعيد

حاورته / زينب المشاط
تصوير / محمود رؤوف

– بعد أن طفنا حول الكتب وتصفحنا عدداً منها، سألت مُضيّفي كم عمرك؟ لأعرف كم قضى منه في قراءة هذه الكتب؟

• انا الآن في الثمانين من العمر، وقد قضيت نحو ٧٣ عاما في قراءتي للكتب، واستمريت في هذه الرغبة وهي قراءة الكتب، أذكر أن والدي كان يشتري مجلة تسمّى "الهلال" وهذه المجلة مصرية تحمل بين صفحاتها صوراً لكبار "بشوات، وبيكوات "مصر، كنت اقوم بقص تلك الصور، وجمعها وأعزل صور "البشوات" جانباً، وصور "البيكوات" على جانب آخر، وحين لاحظ أبي ذلك، عاقبني على فعلتي.

– إذا كانت قراءات باسم عبد الحميد حمودي منذ سن مبكرة، تُرى ما هو نوع الكتاب الذي اختاره صبي بعمر صغير؟ سألت حمودي عن الكتاب الأول الذي اختاره لقراءته؟

• نعم كان كتاب في مكتبة والدي بعنوان "مذكرات دجاجة»، للدكتور اسحق موسى الحسيني، وهو يتحدث عن معاناة الدجاجة مع البشر وكنت في التاسعة من عمري، وبعدها ظهرت "مذكرات حمار" لخوسيه ماتيو، وأيضاً يتحدث عن معاناة الحمار مع البشر، وهناك كثير من القصص والروايات التي تجري في هذه الكتب بين الحيوانات والبشر، وظهرت قصص "اللص الظريف" وهو مكتشف الجرائم وهي قصص بوليسية، قام كاتبها بكتابة حوالي ١٠٠ رواية، ومقابلها كتب "شارلك هولمز»، ومن هذه الطريقة بدأت القراءة.

– بعد معرفتي لبدايات حمودي مع الكتب، سألته عن مؤلفاته والتي تحدّث عنها كثيراً بين بدايات، وسير، وبحوث سواء في المجال القصصي أو التأريخي أو التراثي، بماذا كانت تبحث الكتب التي ألفتها؟

• عملت بحوثاً في جانب التراث الشعبي تخص السيرة الهلالية، وكان كتيب بعنوان "الزير سالم" وهو بداية إشارتي وبحثي في هذه السيرة، ثم أدخلت فيها الجانب العراقي في هذه السيرة، حيث كان الهلاليون المنحدرون من تونس يطردون في كل مدينة ينزلون بها، وبهذا يقومون بقتل الحاكم الظالم في هذه المدينة ويجلبون مكانه ملكاً آخر، اما في العراق، فقد استقبلهم حاكم العراق عامر الخفاجي وكرّمهم وعشق إحدى نسائهم، وهنا تحدثت عن تجربة الخفاجي في السيرة الهلالية.

– لم نزل ضمن حدود مؤلفاتك من الكتب لأسأل ما هي الكتب التي حصدت جوائز من ضمن مؤلفاتك طبعاً؟

• كتاب "التراث الشعبي والرواية العراقية" هذا الكتاب حصل على جائزة الإبداع في عام ١٩٩٢، وهو كتيب صغير يبحث في الروايات العراقية التي اهتمت بالتراث الشعبي، ومنهم الكاتب علي خيون، الذي كتب عن بلقيس والهدهد وغيرها من الموضوعات، أما باقي الكتب، فلم تحصل على جوائز واكتفي بالإشادة بها.

– كتب تأريخ، وتراث شعبي، وأخرى للنقد والقصة، وغيرها، كل هذه المجالات تُرى أيُّها أقرب للكاتب، سألت مُضيّفي عن أيّ كتبه أقرب إليه؟

• اول كتاب ألفته كان بعنوان "القصة العراقية" وأعده من أهمّ كتبي في النقد الأدبي، ألفته عام ١٩٦١ ويتحدث عمّا سبق التجربة الستينية، وهو مهم لأنه رسّخ وجودي كناقد، ويعتبر هذا الكتاب كتاباً مرجعيا ولا يوجد مؤلف عراقي يكتب في مجال النقد من دون أن يمر على هذا الكتاب، وقد تناولت خلاله الحديث عن قاصين عراقيين أمثال محمود أحمد السيد وعبد الملك نوري وغيرهما.

أما الكتاب الثاني، فهو عن التراث الشعبي ويمثّل "خلاصة تجربتي في التراث الشعبي" وهذا يتضمن العديد من البحوث التي استندت لها خلال تجربتي، وهي بحوث تتحدث عن الكتب والموضوعات التي يتحدث عنها عدد من الشخصيات والقضاء العرفي والقبيلة العراقية وتجربتها الفولكلورية، إضافة الى ذلك شخصيات فولكلورية، كشيبوب وحمد آل حمود، وتجارب كتّاب عراقيين في التراث الشعبي، كمصطفى جواد وغيره، إضافة الى الحكواتي الذي تحدثتُ عن دوره في تنشيط الرواية الشعبية.

كتاب آخر، أعده مهمّا لي، وهو يتحدث عن التجربة الستينية في الكتابة مابعد عام ١٩٦١ وحتى الثمانينات من القرن الماضي، وهو بعنوان "رحلة مع القصة العراقية».

– تعرفنا إلى أهمّ الكتب التي ألفتها وأيُّها أقرب لذاتك، فما هي الكتب الأهم التي اطلعت عليها وهي لمؤلفين وكتّاب آخرين، وقد عددتها ظاهرة من بين كثير من الكتب التي مرّت عليك؟

• نعم توجد الكثير من الكتب التي عددتها عظيمة بما جاءت به ومهمة جداً، ولكن لا يوجد في الحياة شيء "أفضل" فدائماً ما يظهر الأفضل منه، إضافة الى أن تقييم الأفضل بكل زمان يختلف عن سابقاته، هنالك كتاب بعنوان "التعبير الموسيقي" للدكتور فؤاد زكريا ويتحدث الكتاب عن دور الموسيقى في الذائقة، وأيضاً كتاب "أسرار الموسيقى" لعلي الشوك، رغم أني اعدّ تجربة علي الشوك مهمة جداً، إضافة الى أن كتابه هذا مهم جداً في التجربة الموسيقية.

أيضاً "قصة الحضارة" لديورانت، هو كتاب مهم ومرجعي، إضافة الى ما تناولهُ محمد رجب النجار، في كتبه عن العيّارين والشطار وجحا العربي وكتب محمود الجوهري، الذي ألف موسوعة في التراث العربي، إضافة الى كتّاب وأساتذة آخرين كتبوا في هذا المجال.

– لنعود للتخصص في مجال الكتب ونتساءل، ما هي أهمّ قصة أو كتاب قصصي عراقي قرأتهُ؟

• كثيرة هي القصص العراقية المهمة، سابقاً وحتى الآن مثل قصة "المملكة السوداء" لمحمد خضير، وقصص الكاتب خضير عبد الأمير، وعبد الرحمن الربيعي، وحالياً قصص حنون مجيد، تعتبر مهمة ومميزة، إضافة الى حميد المختار وعبد الستار البيضاني.

– لم اكتف بسؤالي عن القصة، وتطرقت إلى أهم الكتب المُختصة بالتراث الشعبي العراقي؟

• التراث الشعبي العراقي، مع شديد الأسف، لم يُحترم، ولم يجد الاهتمام الكبير به من قبل الدولة، حيث ظهر عدد من الكتّاب المهتمين بالتراث الشعبي في الستينات من القرن الماضي، وصدر كتاب "مدخل الفولكلور العراقي" لعبد الحميد العلوجي ونور الراوي وغيرهما، بدأوا يؤسسون لمشروع تراثي، لكنهم لم يجدوا العناية والاهتمام، كما ظهر اليوم عدد من المهتمين في مجال التراث، مثل حسين علي الجبوري، والذي كتب عن القبلة في التراث الشعبي والسحر أيضاً، وكاظم سعد الدين الذي كتب عن الرواية الشعبية، وقاسم محمد عباس وآخرين.

– التاريخ، القصص، النقد والتراث الشعبي، هذه مجالات اهتمامك من الكتب، هل هنالك كتب تهتم بها خارج هذه التخصصات؟

• نعم بالتأكيد، حتى أنني كتبت عدداً من المسلسلات الإذاعية، كشيء بعيد عن مجالات اهتمامي، ولكن كما تعلمين، أن الاختصاص أي كتب التاريخ والتراث الشعبي، تبقى ذات أولوية ضمن اهتماماتي.

– ما هي المقاييس التي تستند إليها لاختيار كتبك؟

• من المؤكد حين أرى أيّ كتاب قريب من مجال اهتمامي وميولي وتخصصي سأقتنيه بلا نقاش.

– أين تقع المؤلفات النسوية من الكتب من بين مجالات اهتمامك؟

• لطفية الدليمي وميسلون هادي وهدية حسين، يشكلن الصدارة في قراءاتي للكتب النسوية.

– تحدّث لنا عن كتب التأريخ وأهميتها عراقياً، وهل لديك جديدٌ في مجال التأريخ؟

• التاريخ العام يقدّم خدمة ومعلومات للبشرية ليتمكنوا من خلالها توظيف الفنون الأدبية الأخرى، فالكاتب لونغرنك، كتب كثيراً عن التاريخ والفترات المظلمة التي مر بها العراق في كتاب بعنوان "أربعة قرون من تاريخ العراق" ومهّد من خلاله لتجارب أخرى، ومن أهم الكتاب الذين كتبوا أيضاً في مجال التأريخ وطبعاً في مقدمتهم طه باقر، هم نجدة فتحي صفوة، ومصطفى جواد الذي كتب عن التأريخ العباسي والأموي، ونوري عبد الحميد وجعفر الخياط الذي كتب وترجم أيضاً في مجال التأريخ.

أما فيما قدمتهُ أنا، فحالياً أعمل على كتابة رسائل نوري السعيد، أو أوراق نوري السعيد، وأعمل على هذا الكتاب، لأن السعيد ظلم كثيراً تأريخياً، هذا الرجل وثّق كل عمل يقوم به، من خلال مواقف كثيرة منها "ذهابه الى مكة في زمن الملك مسعود، والذي أخرج الحجازيين من مكة، وذهب السعيد له، لأنه كان لديه أسرى عراقيون، وكتب رسائل له وبقي في مكة رافضاً الخروج منها والعودة الى العراق لحين حصوله على موافقة الملك، وأطلق سراح الأسرى.

موقف آخر لتاريخ نوري السعيد، الذي لم يهتم سوى بمصلحة البلاد، حين ذهب إلى شاه ايران، وكان الشاه قد أخذ مخافر عراقية وأخذ معها أسرى عراقيين، فذهب السعيد مع وزير الخارجية لإيران واتصل بهم، واستقبلته الحكومة، وقال لهم: أنا حاضر للقاء الشاه فقط، وحين حضر الشاه قبّل السعيد يده خدمةً لمصالح البلد، وهنا قال له وزير الخارجية: لماذا تقبّل يد الشاه وأنت رئيس دولة أيضاً؟، قال له: ابنائي وجنودي مسجونين لديه، وإن كلّف الأمر سأقبّل قدمه.

نوري السعيد كان داهية سياسية، وكان ذا توجه قومي، ولكن لم يرضَ تزعم مصر للبلاد، لأنه يعتبر العراق هو المتسيّد.

– حسناً لنتحدث سريعاً عن الكتب الآن، هل اخترت كتاباً يوم ما، وحين وصلت لمرحلة أكثر نضجاً فكرياً ندمت على اختياره؟

• نعم هنالك شخص يُدعى السيد حامد النسال، كتب كتاباً بعنوان "القصة العربية" وحين اطلعت على الكتاب كان يتحدث عن القصة المصرية فقط ولا وجود لما يخص التجارب العربية الأخرى، وهذا كان كتاباً غير موضوعي.

– مكتبتك مملوءة بالكتب، هل قرأت كل ما تحويه من كتب أم أن هنالك كتباً لم تقرأها بعد؟

• لا يوجد كتاب في مكتبتي لم أقرأه، جميع الكتب التي ضمن حدود هذه المكتبة هي كتبٌ مقروءة.

– هل هنالك كتب تمنيّت لو تضمُّها لمكتبتك ولكنك لم تتمكن من ذلك؟

• الكتاب الذي تمنيّت شراءه هو موسوعة دستوفسكي، بسبب كبرها وغلاء ثمنها، لم اتمكن من شرائها سابقاً ولم اشتريها حتى الآن، وأيضاً كتاب "قصة الحضارة" وأيضاً لم اشتريه في وقتها لضيقِ ذات اليد في ذلك الوقت.

– اختر لي كتاباً من مكتبتك وحدثّني عنه؟

• حكايات بغدادية، كتاب تراث شعبي أحبّ الحديث عنه، جمعه الدكتور داود سلوم للأب الكرملي، وهو صاحب لغة العرب وجمع حكايات شعبية لنساء بغداديات باللهجة العاميّة، التي كانت في بغداد لهجة قريبة من لهجة الموصل، عن مكر النساء والرجال وهي حكايات تمثّل شيئاً من روح العراق، وداود سلوم جمع الحكايات وفصحها، وكان اسم الكتاب بالأساس "التفتاف"، وأنا اقرأه بين الفترة والأخرى، ويعدّ من الكتب المهمة التي أحاول العودة لها.

الكتاب الثاني هو رواية "رياح شرقية رياح غربية" وهي رواية مظلومة لم يهتم بها النقّاد اهتماماً كبيراً، ويتحدث عن تجربة الموظف العراقي في الشركات الأجنبية في البصرة، وكذلك عن فترة من تأريخ البصرة بهذه الطريقة.

– أخيراً هل تمنيّت أن اسألك عن كتاب ما؟

• لا اعتقد انك نسيتي أي شيء يخص الكتب، ولكن كان من الممكن أن نتحدث عن كتب الفولكلور، كتّاب الفولكلور، ككاظم سعد الدين وحسين الجبوري اللذين كتبا عن الألعاب الشعبية، وعبد المحسن السوداني الذي كتب عن الألعاب الشعبية بالعمارة، ويونس السامرائي كتب عن الألعاب الشعبية في سامراء، وآخرون كتبوا عن البصرة وغيرهم أمثال عامر رشيد السامرائي ومحمود العبطة وحسين الجبوري وغيرهم الكثير.

العدد (4156)
السنة الخامسة عشرة - الخميس (15) آذار 2018

عراقيون
من زمن التوهج
ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون
رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق
الاخراج الفني: خالد خضير
طبعت بمطابع مؤسسة
المدى للإعلام والثقافة والفنون
WWW. almadasupplements.com

شيء عن باسم عبد الحميد حمودي

رفعة عبد الرزاق محمد

كنت . ومازلت . امني النفس ان ارى الاستاذ باسم عبد الحميد حمودي وقد نشر مذكراته، لتطلع الاجيال الطالعة على التجربة التربوية والادبية الثرية والمليئة بالذكريات والصور التي اصبحت اليوم ملكا لتاريخنا.. لقد ولج الاستاذ باسم حميد حمودي الحياة الثقافية بكل ابعادها منذ ستين عاما فعرف الشيء الكثير عن اسرارها وتفاصيلها..فضلا عن انتمائه لاسرة ظهر فيها العديد من الاسماء القريبة من هذه الحياة، وتجربته السياسية القصيرة بكل ما تحمله من مرارة وعبر، فما احوجنا الى هذه المذكرات التي طالما حرضت الاستاذ باسم على تدبيجها كلما التقينا.

ابو باسم، عبد الحميد حمودي مال الله النعيمي من رجال التربية المشهورين في تاريخ المعارف العراقية، وترك الكثير من الشواهد التربوية المرموقة في مناطق الفرات الاوسط ولم يزل تلاميذه يلهجون بحمده في كل حين، ومن طبيعة الاشياء ان يكون تأثيره على نجله كبير..

ولد عبد الحميد حمودي (ويسموه في الكرخ حميد) في بغداد سنة ١٩٠٧ وامتد به العمر حتى وفاته وقد تجاوز عمره المئة عام. وكان ابنه البكر صاحبنا باسم المولود في ربيع ١٩٣٧ ثم هاشم خريج كلية الحقوق وقد تقلد وظائف تعليمية وادارية مختلفة، وسبع بنات من فضليات سيدات الكرخ.. وكثيرا ما ذكر الدكتور علي جواد الطاهر عندما يتحدث عن بداياته في المدرسة واساتذته المرحوم عبد لحميد حمودي بكل تجلة وتقدير، ومما ذكره في المدرسة الابتدائية في الحلة واسمها المدرسة الشرقية وهي من اشهر مدارس الحلة في العشرينيات، ان مرشد الصف كان المعلم عبد الحميد حمودي الذي نقل الى المدرسة الشرقية التي كانت تضم اشهر المعلمين واقدرهم وعلى راسهم الشيخ عبد الرزاق سعيد الذي تحدث عنه مؤرخو الحركة الفكرية في الحلة وعن فضله كثيرا. يقول الطاهر : جاء عبد الحميد حمودي واسمه يعرفه الكثيرون لحدث ادبي طريف، اذ فاز هذا المعلم بجائزة ادبية قدرها ٧٥ دينارا وهو حدث جسيم اين منه راتب المعلم وهو في حدود عشرة دنانير شهريا، انه يعادل تماما راتبا شهريا لمتصرف من الدرجة الاولى!

يصفه الطاهر فيقول : معلمنا عبد الحميد من بغداد محلة الست نفيسة كما حفظناه طويل القامة انيق الملبس هاديء الطبع يعامل التلاميذ معاملة اولاده... الخ (فصول ذاتية من سيرة غير ذاتية ص٣٦). وقد تنقل عبد الحميد حمودي بين مدارس الفرات الاوسط حتى اصبح مديرا يشار له بالبنان، وكان يومذاك من التقاليد ان يصحب الموظف الحكومي عائلته في حله وترحاله. وعندما كان حمودي مديرا لمدرسة السماوة في النصف الاول من الاربعينيات ادخل ابنه البكر باسم المدرسة فعرف هذا الطالب بين اخدانه بابن المدير، لكن هذا الابن لقي مرة عقوبة شديدة من والده المدير بصفعه امام الطلاب. اكمل باسم الثانوية في ثانوية الكرخ ثم دخل كلية التربية التي ورثت دار المعلمين العالية وتخرج فيها سنة ١٩٦٠.

وبعد تخرجه دخل عالم الوظيفة الحكومية، عين مدرسا في ثانوية الصويرة للبنين بعد عدة وظائف غيرتعليمية، واستمر بسلك التعليم لسنوات طويلة وتنقل بين مدارس العراق كأبيه (ومنها مدارس الفرات الاوسط التي يحمل عنها ذكريات ثرية). وفي كل هذه المراحل كان لصيق الحركة الثقافية حتى نقلت خدماته من التعليم الى وزارة الثقافة والاعلام سنة ١٩٨٠فتولى عدد من المناصب في المجلات الصادرة عن الوزارة ومنها مجلة (التراث الشعبي) التي استمر بتحريرها الى سنة ٢٠٠٠.

اهتم باسم عبد الحميد حمودي في حياته الفكرية بادب القصة ونقدها والتراث الشعبي (الفولكلور)، فعن الاخير وجدت له مقالات نفيسة في مجلة الاديب البيروتية نحو سنة ١٩٥٧ تتعلق بالادب الشعبي. اما ادب القصة فيبدو ان الاستاذ باسم حمودي بدأ كاتبا للقصة فاصدر اول مجموعة قصصية باسم (انا عاطل وقصص اخرى) سنة ١٩٥٨(بغداد، مطبعة الشباب، ٤٠ صفحة) نشرها له المرحوم عبد العزيز القديفي الذي كان قريبا من الكتاب والادباء ويحاول مساعدتهم على الرغم من فقره المدقع. اما النقد الادبي فقد اصدر له اتحاد الادباء العراقيين كتاب (في القصة العراقية) سنة ١٩٦٠(٨٥صفحة). ويجدر القول ايضا ان عام ١٩٥٥ شهد ظهور اول مقالة له في الصحف وهي خاطرة عن فراغ الطلاب في العطلة نشرها في جريدة (بغداد) لصاحبها خالد قادر ثم اخذ يكتب في جرائد مختلفة كالبلاد والمجتمع والحرية والاستقلال وسواها.

كنت اود في هذه المقالة السريعة الحديث عن مجموعة اسر بغدادية كرخية ترتبط بصلات نسبية عن طريق عميد هذه الاسر في اوائل القرن المنصرم بافي الجبوري الخانجي، اذ انح مودي وهو جد الاستاذ باسم كان يتولى مختارية محلة الست نفيسة قبل الحرب العالمية الاولى وزوجته (مكية) كبرى بنات بافي الجبوري، وام باسم هي ابنة عبد الرزاق محمود البراك. وقد ظهرت في هذه الاسر اسماء معروفة كانت لها التأثير بشكل او بآخر على مسيرة الاستاذ باسم عبد الحميد كالصحفي الكبير عبد القادر البراك والمناضل الشهيد عدنان البراك والاديب الكاتب محمود العبطة وشقيقه الوزير محمد العبطة والطبيب قاسم البزركان وسواهم، الا اني تركت الامر الى حديث لاحق.